جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

توظيف الموروث

في

شعر القرن الأول الهجري

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب

إعداد الباحث

هاني بكري علي جودة

إشراف

أ. د / مصطفى الشورى
أستاذ الأدب والبلاغة والنقد
بكلية الآداب جامعة عين شمس

أ. د / منال محرم
أستاذ الأدب والبلاغة والنقد
بكلية الآداب جامعة عين شمس

٢٠١٦

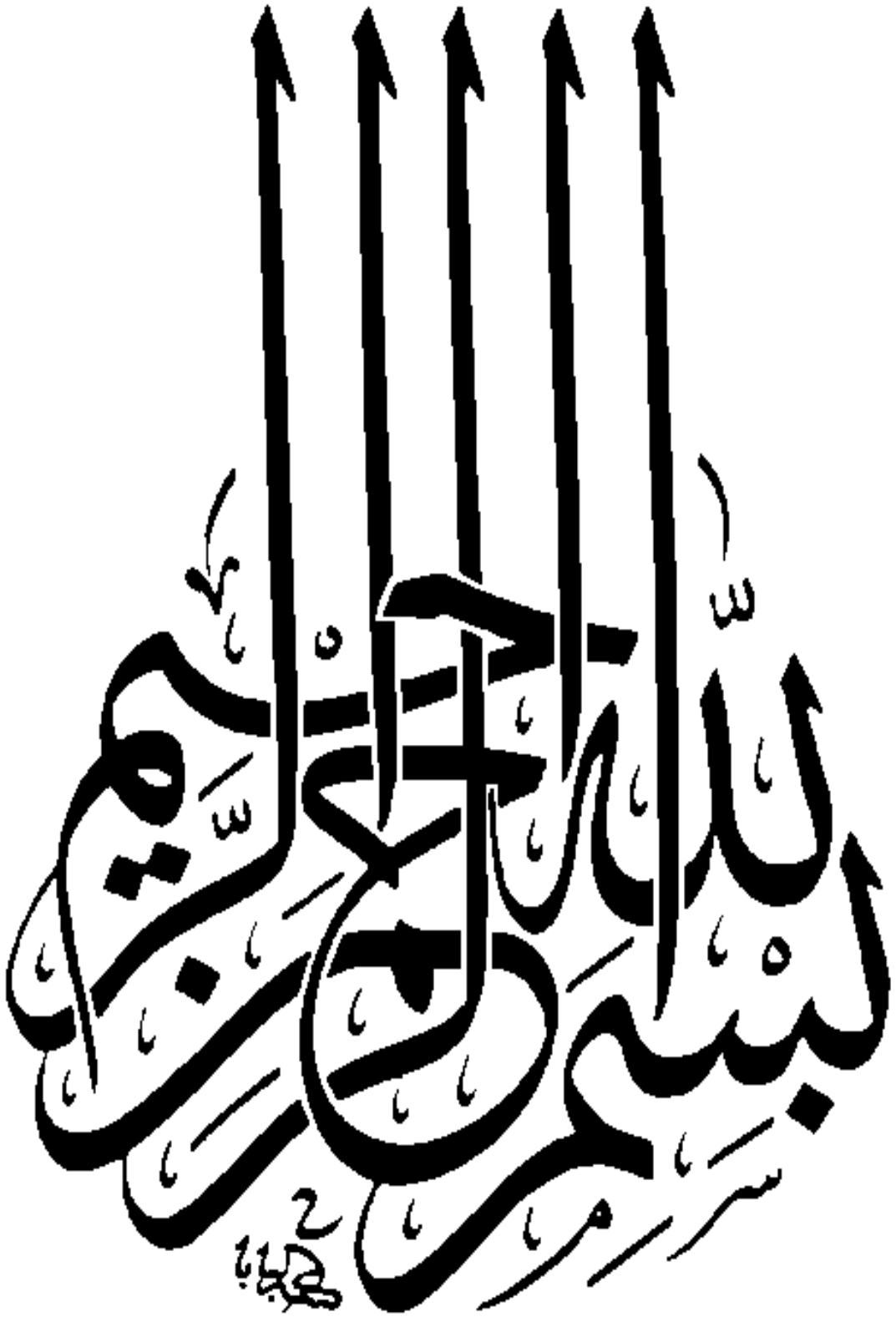
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى

اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٥)

صدق الله العظيم

الإهـــــداء

إلى من كلله الله بالوقار ، إلى من علمني العطاء بدون انتظار ،إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ، إلى من زرع وانتظر القطاف بعد طول انتظار ، إلى أبي الغالي ...

إلى بسمة الأمل ، ومعنى الحياة ، إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي ، وحنانها بلسم جراحي ، إلى أغلى الأحبة أمي الحنون ...

إلى من طوق عنقي حبل معروفهم وإحسانهم ، ولمع لسانهم بحبي ، وخفق قلبهم بحنيني إلي إخوتي وأخواتي وجميع الأهل والأقارب ....

إلى نصفي الآخر التي شاركتني هذا الحلم " خطيبتي "

أهدي هذا العمل

الباحث

هاني بكري علي

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد ،،،،

من لا يشكر الناس ، لا يشكر الله ، هكذا تعلمنا ، ومن أجل ذلك إنه ليسعدني بعد أن مَـنَّ الله عَليَ بإنجاز هذ البحث أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل **الأستاذ الدكتور مصطفى الشورى** ، الذي سار معي لحظة بلحظة ، وخطوة خطوة ، حيث لم يدخر جهدًا ونصحًا ومشورةً إلا أسداها إلي ، وأنار لي الكثير من الطرق المظلمة بعلمه الغزير الذي لا ينضب ، ومنه تعلمت الصبر والحِلمَ والتعقل ، وأخذ الأمور بميزان دقيق محسوب ، وقد ذلل لي الكثير من العقبات بآرائه السديدة وتوجيهاته الصائبة ، حتى جاءت هذه الدراسة بهذا الشكل ، أسأل الله أن يبقيك ذخرًا لطلبة العلم والمعرفة ، وبارك الله فيك ، ويحفظك لأسرتك وأولادك ، ووطنك .

كما أتقدم بخالص شكري لأستاذتي الكريمة **الأستاذة الدكتورة منال محرم** لمشاركتها الإشراف على هذا البحث ، والتي لم تتوان لحظة في تقديم العون والمساعدة لي ، ولم تبخل عليَّ بعلمها وتوجيهاتها وإرشاداتها ووقتها ، أدعو الله أن يمدها بالصحة والعافية .

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي المشرف السابق على هذا البحث **الأستاذ الدكتور سعيد الوكيل** لتوجيهاته القيمة ، التي أبداها لي في هذا البحث ، والذي لم يألُ جهداً في نصحي وإرشادي وتوجيهي ، حفظه الله ونفعنا بعلمه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل **الأستاذ الدكتور محمد عبدالمطلب** لما قدمه لي من نصح ومشورة علمية ، وأدعو الله أن يمده بالصحة والعافية .

كما أوجه شكري وتقديري وأمتناني لأساتذتنا الكرام أعضاء لجنة المناقشة : **الأستاذ الدكتور محمد الطاووس ، والأستاذ الدكتور أشرف علام** ، فلهما جزيل شكري وتقديري كِفاءً ما أنفقاه من وقت في قراءة هذا البحث ، وما تجشماه من جهد في مناقشته ، وما سيسديانه من نصح وتوجيه ونقد سديد لتقويم ما قد يكون فيه من زللٍ وهنَّات ، وأسأل الله العظيم أن ينفعني بعلمهما ويجزيهما عني خير الجزاء إنه على ذلك لعلي قدير .

كما أتقدم بالشكر الجزيل كذلك لكل من ساعدني في إتمام الرسالة ، داعيا الله - جل وعلا - أن يوفقني وإياهم إلى كل خير ، وأسأل الله تعالى قبول هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام وأهله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

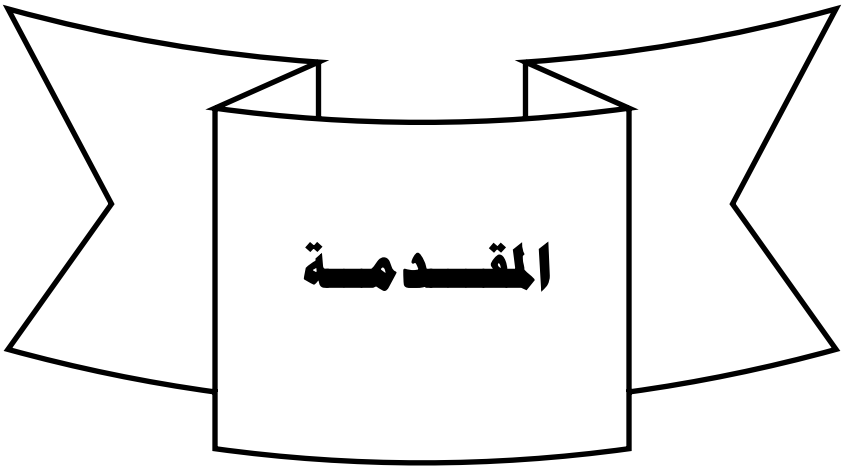
المقـــدمـــة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فتحدى ببلاغته الأولين والآخرين ، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي آتاه ربه جوامع الكلم فكانت فصاحته نبراس المتقدمين والمتأخرين ، وعلى آل بيته الأطهار الطيبين ، وعلى أصحابه الغُرّ الميامين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

تقاس أصالة الأمم وعراقتها بما تمتلكه من حضارة وتراث إنساني تتوارثه الأجيال ، وكلما كانت هذه الموروثات ذات ملامح وسمات ، كانت ذات قيمة ومكانة عظيمة عند شعوبها ، مما يدعو المؤرخين و الدارسين إلى التعمق في دارسة عادات الشعوب ومعتقداتها وموروثاتها .

ويعد التراث بمصادره المتنوعة معينًا لا ينضب ، ومورداً دائم التدفق بإمكانات الإيحاء ووسائل التأثير ؛ لما يحويه من فكر إنساني ، وقيم فنية خالدة ، ومبادئ إنسانية حية ؛ " لأن عناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد ، وعلى التأثير في نفوس الجماهير ووجدانياتهم ، ما ليس لأي معطيات أخرى يستغلها الشاعر ، حيث تعيش هذه المعطيات التراثية في أعماق الناس ، تحف بها هالة من القداسة والإكبار ؛ لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي " [١] .

والواقع أن عملية توظيف الموروث داخل السياقات الشعرية هي مسألة غاية في الأهمية ؛ ذلك بسب ارتباطها بالمتلقي ، إذ إن مقدار تفاعل المتلقي داخل القصيدة يكمن في مقدار شعرية توظيف الشاعر للموروث ، وبما أن الموروث مادة جاهزة للإفادة ، فقد استطاع عدد من الشعراء المبدعين توظيف الموروث العربي ، بكل أنواعه داخل منظومة نصهم الإبداعي .

فتعامل الشاعر مع التراث لا يعني نقله كما هو ، أو إعادة صياغته أو تقليده ؛ لأن مثل هذا العمل لا قيمة له ، إنه يذكر بالماضي ، وإنما التعامل الحقيقي مع التراث يتمثل في استخدام معطياته وعناصره " استخدامًا فنيًا إيحائيًا وتوظيفها رمزيًا لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية ، بحيث يسقط على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة ، فتصبح هذه المعطيات تراثية معاصرة " [٢] .

١- عن بناء القصيدة العربية الحديثة : علي عشري زايد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٩٥ م ، صـ ١٣٧ .

٢- توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر : علي عشري زايد ، مجلة فصول ، مجلد ١، عدد ١، أكتوبر ، ١٩٩٥ م ، صـ ٢٠٤ .

أهمية دراسة الموضوع :

جاء موضوع دراستي " توظيف الموروث في شعر القرن الأول الهجري " انطلاقًا من مدى أهميته النّابعة من الحضور المميّز للتّراث في القرن الأول الهجري .

وكان الدافع الأساسي لهذه الدراسة أن أحداً لم يتطرق إلى هذا البحث من قبل ؛ إضافة إلى رغبتي الملّحة في التعرُّف على المستويات العقلية والفكرية واللغوية التي كان يتمتع بها شعراء هذا القرن ، وقدرة هؤلاء الشعراء على توظيف الموروث الفكري في أشعارهم من خلال ثقافتهم المكتسبة من بيئتهم .

وتكمن أهمية دراسة التراث في مدى تأثيره الواسع في المجتمع والفكر الإنساني والديني والتاريخي ، فأي " تطور ثقافي لمجتمع ما يحتاج إلى أسس ثقافية واجتماعية ، فالمجتمع وعاء مناسب للتراكم المعرفي والتطور الحضاري ، إضافة إلى التزايد الكمي والنوعي الذي يصاحب التطور الذي لا يأتي فجأة ، وإنما من خلال لبنة أساسية تصبح مع الزمن غير ملائمة لمتطلبات الزمن الحاضر ، ولمعالجة الإشكاليات الاجتماعية المستجدة على أرض الواقع ، يتم البناء عليها ، وإعادة صقلها وتأهيلها لتصبح مناسبة ومتطورة وفاعلة ، وملبية للحاجات ، فالموروث عامل توافقي متواصل ومتطور وفاعل داخل المجتمع الواحد " [١] .

وارتباط الموروث بالمجتمع لم يأت من فراغ ، وإنما بتأثير الفكر الإنساني والديني والتاريخي والخرافي والأدبي الذي ترك بصماته على موروث الأجيال القادمة .

وتتضح أهمية هذه الدراسة في :

١. بيان أثر توظيف التراث في شعر شعراء القرن الأول الهجري بالإضافة إلى إيضاح ما يتمتع به شعرهم من أهمية قصوى لدارسي الأدب .
٢. بيان الروابط والعلاقات التي جمعت بين التراث والنص الشعري عند شعراء القرن الأول الهجري .
٣. الكشف عن المعجم اللغوي الذي جاء في كثير من الأحيان معجمًا تراثيًا .
٤. محاولة رصد الموروث باعتباره رافدًا من روافد الشعراء الثقافية .
٥. استخدام التراث في أشكال متعددة عند هؤلاء الشعراء .

١- توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأمية بن أبي الصلت الثقفي : سليم أحمد عبدالله ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٤ م ، صـ ٧ .

الدراسات السابقة :

لم ينل التراث في القرن الأول الهجري حظه الكامل والكافي من الدراسة إلا ما نراه من شذارات في بطون بعض الكتب التي تؤرخ للأدب ، وبعض الرسائل الجامعية :

١. توظيف التراث الديني في القصيدة العربية المعاصرة ، للباحث :عيد حجازي عبد العليم ، رسالة دكتوراه سنة ١٩٩٧م ، جامعة المنيا ، كلية دار العلوم .

٢. توظيف التراث الصوفي في الشعر العربي المعاصر في النصف الثاني من القرن العشرين ، للباحث : قطب عبد العزيز بسيوني ، رسالة دكتوراه سنة ١٩٩٩م ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم .

٣. توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر في مصر (١٩٦٧- ١٩٩٤) ، للباحث : عبد الناصر عبد الحميد نور الين ، رسالة دكتوراه سنة ١٩٩٦م ، جامعة عين شمس ، كلية البنات .

٤. توظيف الشخصيات التراثية في الشعر المصري الجديد ، للباحث : أحمد مصطفى صبري ، رسالة ماجستير سنة ١٩٩٢ م ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب .

٥. توظيف الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، للدكتور : علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

ونلاحظ أن هذه الدراسات لم تفرد بحوثًا مستقلة لدراسة ظاهرة التراث في شعر القرن الأول الهجري وإن كان في بعضها لمحات قليلة عن هذا الموضوع ، فهي لم ترصده بالصورة التي يرصدها البحث ، ولم تتطرق إلى طرائق توظيف التراث أو أثر التراث في بنية النص الشعري عند شعراء هذا القرن .

منهج الدراسة :

تستخدم هذه الدراسة مجموعة من المناهج هذه المناهج على سبيل المثال المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي ، فقد استقرأت مواطن استحضار الموروث ، ثم حللتها ، وبيّنت الجمال فيها ، ووقفت على دورها في تأدية المعنى الذي أراد الشاعر التعبير عنه .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ، وكل فصل ينقسم إلى عدة مباحث ، وخاتمة وثبتا للمصادر والمراجع :

أما المقدمة : فقد بينت فيها أهمية دراسة الموضوع ، والدراسات السابقة ، والمنهج والخطوات .

وأما التمهيد : فقد بينت فيه مفهوم التراث .

أما الفصل الأول : فجاء بعنوان

" توظيف الموروث في شعر القرن الأول الهجري "

وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : " توظيف الموروث الديني "

المبحث الثاني " توظيف الموروث الأدبي "

المبحث الثالث " توظيف الموروث التاريخي "

أما الفصل الثاني : فجاء بعنوان

" أثر توظيف الموروث في بناء القصيدة "

وقسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : بنية القصائد ذوات الموضوع الواحد .

المبحث الثاني : بنية القصائد ذوات الموضوعات المتعددة .

أما الفصل الثالث : فجاء بعنوان

" أثر توظيف الموروث في عناصر التشكيل الفني "

قسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اللغة الشعرية .

المبحث الثاني : الصورة الشعرية .

المبحث الثالث : الموسيقى الشعرية .

خاتمة :

ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج ، وذيلت ذلك بثبت للمصادر والمراجع .

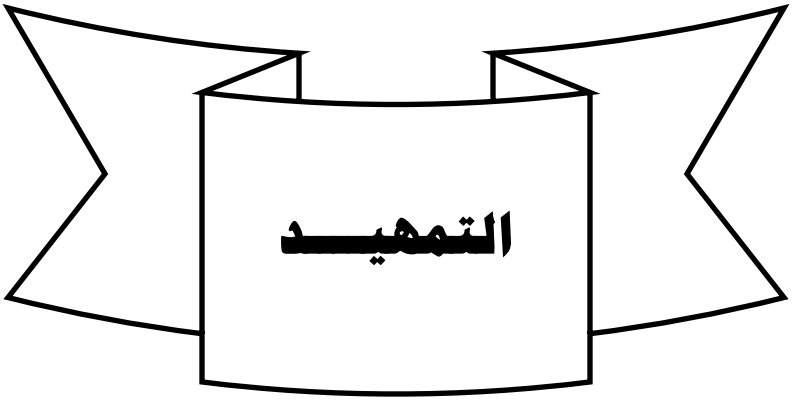
التمهيـــد

تعريف الموروث لغة واصطلاحًا :

الناظر في المعنى اللغوي لمصطلح الموروث في المعاجم العربية القديمة ، يجد أنه مأخوذ من الفعل الثلاثي (وَرِثَ) ، " والورث والميراث في المال ، والإرث في الحسب ، إذ يقال ورث فلانٌ ، أي انتقل إليه مال فلان بعد وفاته ، ويقال : ورث المجد والمال عن فلان إذا صار مال فلان ومجده إليه " [١].

وفي ضوء المصطلح اللغوي نجد أن " التراث لفظ يشمل الأمور المادية والمعنوية ، فهو ينتمي إلى الزمن الماضي ، ويتمثل في جميع ما يبقيه الآباء والأجداد للأبناء والأحفاد ، فهو قبل كل شيء الأرض التي نعيش عليها ، وعلى هذا الأساس فهو كل ما ورثناه تاريخيًا " [٢].

أما اصطلاحًا فقد تنوعت دلالات التراث واشتقاقاتها ، واكتنفت معانيها معان متقاربة ، وإذا مضينا في تتبع معانيها سنجدها معاني مكبرة للمعنى اللغوي .

فقد عرف مجدي وهبه التراث بأنه " ما خلفه لنا السلف من آثار علمية ، وفنية ، وأدبية ، مما يعد نفيسًا بالنسبة إلى تقاليد العصر الحاضر وروحه " [٣] . وقدم جبور عبد النور تعريفًا أشمل ورأى أنه " ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد ، وعادات ، وتجارب ، وخبرات ، وفنون ، وعلوم ، في شعب من الشعوب ، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي ، والإنساني ، والسياسي ، والتاريخي ، والخلقي ، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه " [٤].

ونظر محمد الجابري للتراث على أنه " تمام ثقافة الماضي وكليتها : إنه العقيدة ، والشريعة ، واللغة ، والأدب ، والعقل ، والذهنية ، والحنين والتطلعات " [٥] . وأكد ضياء عزاوي هذه النظرة عندما عرفه بأنه " جماع للتاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور وحتى الآن" [٦].

١- لسان العرب : ابن منظور ، مادة (ورث) ، بيروت ، دار صادر ، ط ٦، ١٩٩٧م .

٢- توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأمية بن أبي الصلت الثقفي : سناء أحمد سليم عبدالله ، ، صـ١٤.

٣- معجم مصطلحات الأدب : مجدي وهبه ، مكتبة لبنان ، . بيروت ، ١٩٩٧م ، صـ ٥٣ .

٤- المعجم الأدبي : جبور عبدالنور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩م ، صـ ٦٣ .

٥- التراث والحداثة : محمد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م ، صـ ٢٤ .

٦- كيف نعيد قراءة التراث قراءة معاصرة : ضياء عزاوي ، مجلة المعرفة ، ع ١٦١ ، ١٩٧٥ م ، صـ ٣٤.

فالتراث موروث " عن أسلاف تركوا لنا فيه ناتج خبراتهم ومعارفهم ، لنصل إلى التراث بوصفه موروثـاً فاعلاً متطوراً ، فالناس هم صناع التراث يصوغونه وفق ظروفهم وحاجاتهم ، وأي نقلة تطورية على سلم التراث لابد أن يسبقها نقلة من الدرجة الدنيا إلى الدرجة العليا "[١].

وبمعنى آخر ، إن أي تطور ثقافي لأي مجتمع لا يمكن حدوثه إلا إذا توافرت لديه أرضية ملائمة تضم الجوانب الفكرية والاجتماعية والمادية ، وأسسًا ثقافية سابقة .

ومن ذلك يمكن القول إن التراث متعدد المضامين فهو ديني ، وأدبي ، وفكري ، وثقافي ، وفني وأخلاقي ... وهذا يعني " أن التراث ليس نصوصـًا جامدة تحفظ في أمهات الكتب القديمة ، وليس متحفـًا للأفكار نفخر بها ، وننظر إليها بإعجاب ، ونقف أمامها بانبهار وندعو العالم معنا للمشاهدة والسياحة الفكرية بل هو نظرية للعمل ، وموجّه للسلوك ، وذخيرة قومية " [٢] . فالتراث ليس وجوداً مستقلاً عن الواقع ، بل هو جزء من الواقع ، ويعبر عن تكوين العصر وروح الجيل .

ونستخلص من ذلك أن (التراث) هو الثقافة ، أو العناصر الثقافية التي يتلقاها جيل عن جيل ، وعصر عقب عصر . والموروث الثقافي عند العرب الجاهليين هو مزيج من المعتقدات الدينية ، والتاريخ ، والأمثال ، والأساطير ، والخرافات ، والقصص والشعر .... والشاعر يرتد إلى هذا الموروث بجميع أنواعه ، ويعيد صياغته في فنه الشعري ليعبر من خلال ذلك عن رؤاه ، وحياته ، ونظرته للكون والوجود .

وهكذا يمكننا القول أن التراث هو أحد أهم الموروثات التي تركها لنا القدماء ، وأحد المصادر الهامة التي استلهمها الشعراء . وذلك لأن استيحاء التراث وتوظيفه في الإبداع الشعري يعتبر وسيلة تسهم في إغناء التجربة الشعرية ، ولأنه وسيلة تخلق توازنـًا بين الماضي والحاضر ، وتزود النص الشعري بطاقات فنية ثرية.

أما عن تعامل شعراء القرن الأول الهجري على وجه الخصوص مع موروثهم ، فقد نظروا إليه نظرة استلهام ، عايشوه وانصهروا فيه بأشعارهم ، وربطوه بقضاياهم وتجاربهم ، واستمدوا من مصادره المتعددة ما يعينهم على التعبير عن رؤ اهم ، وأفكارهم ، ونظرتهم للكون ، وذلك

١- الأسطورة والتراث : سيد القمني ، المركز المصري لبحوث والحضارة ، القاهرة ، ط : ٣ ، ١٩٩٩ م ، صـ ٢٢ .

٢ - التراث والتجديد : حسن حنفي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط : ١، ١٩٨١ م ، صـ ١١.

لأنه مصدر غني للشاعر ينهل منه ليقوي شعره ، ويثري تجربته وأصالته ، حتى غدا ملمحًا بارز اً من الملامح الفنية في القرن الأول الهجري ، تقربنا من رسم صورة حقيقية لذلك القرن .

كل ذلك يجعلنا نقول إنه باستطاعة الباحث والدارس أن يستدل على أي عصر وعلى عاداته وتقاليده ، وطقوسه ، وفكره ، وخصائصه من خلال شعر شعرائه ، الذين استمدوا الإلهام والكلام من صميم تراثهم ، ووقائعهم ، وأساطيرهم المتوارثة ، فشعراء القرن الأول الهجري لهم الفضل في توظيف هذا التراث الموروث . بما حوت قصائدهم وأشعارهم من وثائق هي شواهد على الحقائق التاريخية المتوارثة .

الفصـــل الأول

توظيـف المـوروث فـي شعر القرن الأول الهجري

يشمـل ثلاثة مباحـث

المبحث الأول : **توظيف الموروث الديني** .

المبحث الثاني : **توظيف الموروث الأدبي** .

المبحث الثالث : **توظيف الموروث التاريخي** .